مع ترك الباب مفتوحاً، قدر الامكان، لاحتمالات تحسين الاوضاع في المستقبل.

وممّا لا شك فيه، ان عودة العمل الى الحكم خلق في اسرائيل واقعاً سياسياً جديداً يختلف، في نواح عدّة، عن ذلك الذي عهدناه حتى الآن، خصوصاً خلال السنوات الاخيرة. فالفروقات الواضحة في وجهات النظر والمواقف بين العمل والليكود لا تنحصر، في نهاية الامر، في الاطار النظري فقط، بل ان لها انعكاسات سياسية بعيدة المدى، سيكون لها تأثيرها على عملية السلام الجارية في المنطقة. ولا شك اننا سنشهد تأثير ذلك على المواقف والأداء الاسرائيليين عامة من الآن فصاعداً، في اكثر من مجال.

ولعلّ اول وابرز ما يمكن توقّعه من تغييرات، في هذا الصدد، هو مبادرة الحكم الجديد الى تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة الاميركية من جهة، وترميم صورة اسرائيل في العالم عامة من جهة اخرى، بعد «التلف» الذي اصابهما نتيجة لسياسات ومواقف الليكود المتشنجة. فخلال السنوات الاخيرة من حكم الليكود، وبصورة اكثر دقة، منذ بداية عملية السلام في المنطقة، توتّرت العلاقات بين الولايات المتحدة الاميركية واسرائيل بصورة ملحوظة، كان من نتائجها رفض واشنطن، وفي سنة انتخابات رئاسية، طلبات مساعدة قدّمتها اسرائيل. بل ظهر من حيثيات الرفض وكأنه ما دام هنالك شخص كشامير في رئاسة حكومة اسرائيل، فان هذه المساعدات لن تقدم ابداً. وغني عن القول، انه لو كان العمل في السلطة لما سمح بتدهور العلاقات الاسرائيلية ـ الاميركية الى هذا الحد، لمعرفته مدى اهمية الاحتفاظ بعلاقات جيدة مع الولايات المتحدة الاميركية، بالنسبة لاسرائيل، من جهة، ولادراكه، اكثر من الليكود بالطبع، ان «الامبراطورية» الاسرائيلية، على الرغم من قوتها و«عظمتها»، لا تستطيع الاستغناء عن خدمات الاميركيين، ولا مناكفتهم، على المدى البعيد، لما قد يجرّه ذلك من عواقب وخيمة، سياسياً واقتصادياً. ومع عودة العمل الى الحكم في اسرائيل، ينبغي ان نتوقع انه سيبذل كل ما في جهده لازالة هذا التوتر والعودة بالعلاقات بين الطرفين الى ما كانت عليه سابقاً، وفق الظروف والمعطيات الجديدة، بالطبع. ولا يعني هذا، مثلاً، ان تعود اسرائيل لتقبل كل ما تطرحه الولايات المتحدة الاميركية؛ اذ سيكون هناك، كالعادة، خلافات في المواقف ووجهات النظر، وأخذ ورد. ولكن شيئاً واحداً يبدو واضحاً للغاية، وهو ان حكومة اسرائيلية برئاسة العمل ستبذل كل ما في وسعها لتحسين علاقات اسرائيل مع الولايات المتحدة الاميركية وتقليص فجوة الخلاف بين الطرفين، وربما محاولة العودة الى سياسة التحالف السابقة في ما بينهما. واستناداً الى مواقف العمل وسياساته، بل ومنطلقات رابين بالذات، لا يجوز الافتراض ان مثل هذه المحاولات ستفشل.

ولا تقف الامور، في هذا المجال، عند هذا الحد فقط، بل ربما تتعداه لتأخذ منحى اكثر خطورة، كما حدث في الماضي اكثر من مرة. فعلى عكس فجاجة الليكود وغطرسته، يبدي العمل، في هذا الصدد، مرونة وقدرة على المناورة، واستعداداً للحوار والمساومة. ولا يتردد، عادة، عندما يضطر الى ذلك، الى تقديم تنازل في نقطة ما ليحصل على مقابله في نقاط أخرى. وكثيراً ما يسعى للوصول الى «مذكرات تفاهم» أو «أوراق عمل» مع الاميركيين. وفي احدى هذه المرات، على سبيل المثال، خلال مفاوضات فصل القوات على الجبهة المصرية ـ الاسرائيلية، في منتصف السبعينات، «اضطرت» حكومة العمل الى تقديم «تنازلات كبيرة» للاميركيين، ومن ثم للمصريين، ولكنها طالبت الولايات المتحدة الاميركية، في مقابل ذلك، بالتوقيع على تعهّدات وضمانات لصالح اسرائيل في اكثر من مجال. وكان من بين هذه الالتزامات الاميركية تعهداً يقضي بامتناع الولايات المتحدة الاميركية عن الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية أو التعامل معها ما لم تعترف بحق اسرائيل في الوجود وبقراري مجلس الامن الدولي